المبحث الرابع
التقديم والتأخير

وللتقديم والتأخير في ركني الجملة أغراض بلاغية . وفي هذا يقول ابن الأثير [1] : «هذا باب طويل عريض ، يشتمل على أسرار دقيقة» .

ويذهب ابن الزملكاني [2] إلى «أن الألفاظ تتبع المعاني ، والمعاني تتقدم باعتبارات خمسة :

الأول : تقدم العلة والسببية على المعلول والمسبب ، كتقدم المضيء على الضوء .

الثاني : التقدم بالذات ، كالواحد على الاثنين .

الثالث : بالشرف ، كتقدم الأنبياء على الأتباع ، والعالم على الجاهل .

الرابع : بالرتبة ، كتقدم الإمام على المأموم والجنس الأعلى على ما تحته إذا جعل مبتدأ .

الخامس : بالزمان ، كالأبعد من الآن مع القرب إليه ، ومنه تقدم الوالد على الولد ، فإن الوالد وجد في زمان لم يكن فيه الولد موجوداً» .

ثم يضيف قائلاً : و «قد يعرض للتقديم جهة ليست من الجهات المذكورة ، وهي «الخفة» ، كقولهم : «ربيعة ومضر» ، وإنما قدمت «ربيعة» ، مع أن «مضر» أشرف ، لئلا يفضي إلى كثرة الحركات المتوالية ، فأخرت «مضر» لتقف عليها بالسكون» [3] .

ويعرض عبد القادر الجرجاني [4] إلى أهمية التقديم والتأخير في التأثير النفسي ، من حيث التمهيد والتشويق في أول الكلام لما يأتي بعده ، ولما يكون فيه إصابة الغرض بالتعبير المناسب ، بقوله : «أنه ليس إعلامك الشيء بغتة مثل

---

(1) المثل السائر : 216/2 .

(2) التبيان في علم البيان : ص 147 .

(3) المصدر السابق : ص 153 .

(4) دلائل الإعجاز : ص 88 .

إعلامك له بعد التنبيه عليه والتقدمة له ... إنا نعلم ضرورة في قوله تعالى : ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ﴾ فخامة وشرفاً وروعة لا نجد منها شيئاً في قولنا : « فإن الأبصار لا تعمى » .. [و] قوله تعالى : ﴿إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾ يفيد من القوة في نفي الفلاح عن الكافرين ما لو قيل : «إن الكافرين لا يفلحون» لم يفد ذلك . ولم يكن ذلك كذلك إلا لأنك تعلمه إياه من بعد تقدمة وتنبيه ، أنت به في حكم من بدأ وأعاد ووطد ، ثم بين ولوح ثم صرح . ولا يخفى مكان المزية فيما طريقه هذا الطريق» .

بعد ذلك نقول أن التقديم والتأخير يرجع إلى فنية الأديب ، وهذه الفنية المتشابكة مع حسه الشعوري واللاشعوري هي التي تتدخل في التركيب اللغوي للعبارة قد يكون منها مما سيأتي من المواضع ، وقد يكون منها ما هو أدق وأخفى ، وعلينا أن نستنتج ذلك من السياق العام [1].

تقديم المسند إليه

ومن مواضع تقديم المسند إليه ما يأتي :

1- إن ذكره أولاً أهم ، لأنه الأصل ، فهو المحكوم عليه . مثل :

(*) العدل أساس الملك .

(*) الحياة دمعة وابتسامة .

2- أن يتمكن الخبر في ذهن السامع ، لأن في المبتدأ - المسند إليه - تشويقاً إليه . مثل :

(*) قوله تعالى : ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحجرات: 13] .

(*) قول المعري :

والذي حارت البرية فيه حيوان مستحدث من جماد

---

(1) د . رجاء عيد : في البلاغة العربية : ص 81 .

2- تعجيل السرور والتفاؤل . مثل :

(*) سعد في دارك .

(*) الهدى في قلوب المؤمنين .

4- تعجيل المساءة والتطير . مثل :

(*) الجبار في دار صديقك .

(*) الخبيث قريب منك .

5- إيهام أن المسند إليه لا يزول عن الخاطر . مثل :

(*) رحمة الله ترجى .

(*) نصر الله قريب .

6- إفادة تخصيص المسند إليه بالمسند إذا كان فعلاً وكان المسند إليه ضميراً منفصلاً سبقه حرف نفي . مثل :

(*) ما أنا قلت هذا .

تقول ذلك إذا قيل قول تريد أن تنفي عن نفسك إنك القائل .

(*) قول المتنبي :

وما أنـــا أسقمت جسمـي به ولا أنا أضرمت في القلب ناراً

7- تقوية الحكم وتقريره . مثل :

(*) قوله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴾ [المؤمنون: 59] .

هو يعطي الجزيل .

«ومما يرى تقديمه كاللازم لفظ «مثل» إذا استعمل كناية من غير تعريض ، كما في قولنا :

(*) مثلك لا يبخل .

ونحوه مما لا يراد بلفظ «مثل» غير ما أضيف إليه ، ولكن أريد أن من كان على الصفة التي هو عليها كان من مقتضى القياس وموجب العرف أن يفعل ما ذكر أو أن لا يفعل ...

وكذلك حكم «غير» إذا سلك به هذا المسلك ، فقيل :

(*) غيري يفعل ذاك .

على معنى «إني لا أفعله» فقط من غير إرادة التعريض بإنسان وعليه قول [والقول للمتنبي] :

(*) غيري بأكثر هذا الناس ينخدع .

فإنه معلوم إنه لم يرد أن يعرض بواحد هناك ، فيصفه بأنه ينخدع ، بل أراد أنه ليس ممن ينخدع ...

واستعمال «مثل» و «غير» هكذا مركوز في الطباع . وإذا تصفحت الكلام وجدتهما يقدمان أبداً على الفعل إذا نحي بهما نحو ما ذكرناه ، ولا يستقيم المعنى فيهما إذا لم يقدما . والسر في ذلك أن تقديمهما يفيد تقوي الحكم»[1].

8- الدلالة على العموم . وذلك :

(أ) إذا تقدمت أداة التعميم مثل : «كل» و «جميع» ونحوهما على أداة النفي ، فينفي الفعل ويعم النفي كل فرد من أفراد ما أضيفت هذه الأدوات إليه . ويسمى : «عموم السلب» . مثل :

(*) كل ظالم لا يفلح .

أي : لا يفلح أحد من الظالمين . وذلك لأنك بدأت بالأداة (وهي «كل» هنا) فبنيت النفي عليه ، وسلطت الكلية على النفي وأعملتها فيه .

(ب) إذا تقدمت أداة النفي على أداة التعميم توجه النفي إلى الشمول خاصة ، لا إلى الفعل ، وأفاد الكلام نفي المجموع ، فيحتمل ثبوت البعض ، كما يحتمل نفي كل . ويسمى «سلب العموم» . مثل :

(*) قول المتنبي :

ما كل ما يتمنى المرء يدركه تجري الرياح بما لا تشتهي السفن

فهنا نفي لإدراك المرء «كل» ما يتمنى . وقد يدرك «بعض» ما يتمنى[2] .

---

(1) القزويني : الإيضاح : 63/1 - 64 .

(2) عبد القاهر الجرجاني : دلائل الإعجاز : ص 91 ، والقزويني : الإيضاح : 52/1 وما بعدها ، وأحمد مصطفى المراغي : علوم البلاغة : ص 96 .

تقديم المسند

ومن مواضع تقديم المسند ما يأتي :

1- تخصيص المسند بالمسند إليه . مثل :

(*) قوله تعالى : ﴿ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴾ [الكافرون: 6] .

(*) قوله تعالى : ﴿ لَا فِيهَا غَوْلٌ ﴾ [الصافات: 47] [1].

2- التنبيه من أول الأمر على أنه خبر لا نعت . مثل :

(*) قول الشاعر :

له همم لا منتهى لكبارها وهمته الصغرى أجل من الدهر

(*) في يدي كتاب نادر .

3- التشويق إلى ذكر المسند إليه . مثل :

(*) قول محمد بن وهيب لأبي إسحاق المعتصم :

ثلاثة تشرق الدنيا ببهجتها

شمس الضحى وأبو إسحاق والقمر

(*) قول المعري :

وكالنار الحياة فمن رماد أواخرها وأولها دخان [2]

---

(1) القول في وصف خمر الجنة ، والغول : ذهاب الخمرة بالعقل . والمعنى : لا خمرة فيها تغتال العقول .

(2) القزويني : الإيضاح 101/1 ، 102 .

المبحث الخامس
أحوال متعلقات الفعل

من متعلقات الفعل : المفعول به ، والحال ، والجار والمجرور . وهي لا تبلغ في أهميتها ركني الجملة . ومن أحوالها :

(١) **التقديم** : ويتم للأغراض الآتية :

1- **رد خطأ التعيين . مثل :**

(*) محمداً أكرمت .

تقول ذلك لمن اعتقد أنك أكرمت إنساناً وهو غير محمد .

(*) بغسَّان مررت .

2- **التخصيص . مثل :**

(*) قوله تعالى : ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: 5] .

أي : نخصك بالعبادة لا نعبد غيرك ، ونخصك بالاستعانة لا نستعين غيرك [1].

(*) إلى مكتبة الكلية نتوجه الآن .

3- **الاهتمام بالمتقدم . مثل :**

(*) مسروراً أزورك .

(*) عالج المصاب طبيب شهم .

4- **معرفة وقوع الفعل على من وقع عليه ، لا وقوعه ممن وقع منه . مثل :**

(*) عالج المصاب طبيب شهم .

(*) أوصل زيداً إلى بغداد عمرو .

5- **حين يكون في التأخير إخلال ببيان المعنى . مثل :**

(*) قوله تعالى : ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ﴾ [غافر: 28] .

---

(1) الزمخشري : الكشاف : 60/1 .

والمقصود هو : إن الرجل المؤمن من آل فرعون ، لا إن كتمان إيمان الرجل - خوفاً - من آل فرعون . وتأخير «من آل فرعون» يخل بالقصد .

6- التناسب ، كرعاية الفاصلة في النثر والقافية في الشعر . مثل :

(*) قوله تعالى : ﴿ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴾ [طه: ٦٧] .

فإنه لو تقدم «موسى» لاخل بالتناسب ورعاية الفاصلة ، إذ أن السياق الذي وردت فيه الآية الكريمة هو الآتي : ﴿ فَتَنَٰزَعُوٓاْ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّجْوَىٰ * قَالُوٓاْ إِنْ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ ٱلْمُثْلَىٰ * فَأَجْمِعُواْ كَيْدَكُمْ ثُمَّ ٱئْتُواْ صَفًّا وَقَدْ أَفْلَحَ ٱلْيَوْمَ مَنِ ٱسْتَعْلَىٰ * قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِيَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ * قَالَ بَلْ أَلْقُواْ فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ * فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ * قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾ [طه: 68 - 62] .

* * *

(2) حذف المفعول به : ويتم للأغراض الآتية :

1- مجرد إسناد الفعل إلى الفاعل من غير قصد تعلقه بمفعول محدد .

مثل :

(*) قوله تعالى : ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الزمر: 9] .

(*) زارنا خالد وأكل وشرب .

2- التعميم في الفعل والامتناع عن أن يقصره السامع على ما يذكر معه دون غيره ، مع الاختصار . مثل :

(*) قوله تعالى : ﴿ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ ﴾ [يونس: 25] .

أي : يدعو كل إنسان .

(*) أخي يساعد دون تفريق .

3- البيان بعد الإبهام : ويتم ذلك في فعل المشيئة (أي : الإرادة) حين يكون فعل شرط ، ولم يكن تعلقه بالمفعول غرابة . مثل :

(*) قوله تعالى : ﴿فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ [الكهف: 29].

فعندما تسمع «شاء» تتطلع نفسك إلى معرفة الشيء الذي تعلقت به المشيئة فيأتي الجواب ، جواب الشرط ، مبيناً المبهم فتعرف أن المقصود هو «الإيمان» في الأول ، و «الكفر» في الثاني . وفي هذه الصياغة ما فيها من تأثير .

(*) قول البحتري :

لو شئت لم تفسد سماحة حاتم كرماً ولم تهدم مآثر خالد

أما إذا كان في الأمر غرابة فيجب ذكر المفعول . مثل :

(*) قول الشاعر :

ولو شئت أن أبكي دما لبكيته عليه ولكن ساحة الصبر أوسع

فمفعول المشيئة «أن أبكي دماً» . والبكاء «دماً» أمر غريب ، لأن الواقع أن البكاء يسيل «الدمع» لا «الدم» . فلما أراد «الدم» ذكر المفعول بعد فعل المشيئة .

4-دفع توهم السامع الأول وهلة إرادة غير المراد مثل :

(*) قول الشاعر :

وكم ذدت عني من تحامل حادث وسورة أيام حززن إلى العظم

فحذف المفعول به للفعل «حز» وهو «اللحم» ، لكيلا يتبادر إلى ذهن السامع أن الحز كان في اللحم إلى حد لم يصل إلى العظم ، وهو ما يكتمل به المراد ، فحذف المفعول به واتجه إلى العظم مباشرة ليبين أن الحز وصل إلى العظم ! .

(*) زرنا حتى آخر بيت في الحي .

والمفعول المحذوف هو «البيوت» ، بيوت الحي .

5- إرادة ذكر المفعول مرة ثانية على وجه يتضمن إيقاع الفعل على صريح لفظه (لا ضميره) إظهاراً لكمال العناية بوقوعه عليه .

ومما نستطيع أن نعده من ذلك قول البحتري في المدح :

قد طلبنا فلم نجد لكم في السؤ دد والمكارم مثلاً

أي : قد طلبنا لك «مثلاً» في السؤدد والمجد والمكارم ، «فحذف المفعول [مثلاً] لإرادة ذكره ثانياً على وجه يتضمن إيقاع الفعل على صريح لفظ المفعول إطهاراً لكمال العناية بوقوع الفعل عليه، وترفعاً عن إيقاعه على ضميره ... لأنه لو قال : «قد طلبنا لك مثلاً» لناسب أن يقول : «فلم نجده» . وفيه تفويت غرض إيقاع نفي الوجدان على صريح لفظ «المثل» لكمال العناية بعدم وجدانه»[1].

6- رعاية الفاصلة مثل : [2]

(*) ﴿ إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ﴾ [طه: 3] . إذ حذف مفعول «يخشى» في هذه الآية الكريمة رعاية للفاصلة . فهذه الآية ترد ضمن قوله تعالى : ﴿طه * مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ * إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ * تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ ٱلْأَرْضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلْعُلَى﴾ [طه: 4 – 1] .

---

(1) عبد الرحيم العباسي : معاهد التنصيص : 257/1 .

(2) انظر : الإيضاح للقزويني : 102/1 وما بعدها .